**جامعة تكريت**
**كلية التربية للعلوم الانسانية**
**قسم التاريخ**

# الفخار والاختام في العراق القديم

**محاضرة لطلبة المرحلة الاولى**
**مادة تاريخ العراق القديم**

**ا.م.د. انتصار نصيف شاكر**

*

# الفخار في العراق القديم

يقصد بالفخار الأواني المصنوعة من الطين والمحروقة بالنار ، وكان أول اهتداء الانسان لصناعة الفخار في الطور الثاني من العصر الحجري الحديث، ومن الطبيعي إن الفخار في اول صناعته كان سمجاً سميك الجدران وغير مدلوك أو مزخرف وان كانت بعض الاواني مزينة بخطوط متقاطعة بلون اسود او احمر ، كما وجد ذلك في الطبقتين الخامسة والرابعة من قرية جرمو وفي قرية شمشارة ، وربما كان أول استخدام الفخار عن طريق تغليف جدران الحفر بالطين ثم حرقها بالنار لكي تجف وتفخر فتصبح صالحة لخزن الحبوب والمؤن، ثم صنعت الاواني الفخارية البسيطة بعد ذلك، وتطورت صناعة الفخار في الفترات التالية ولاسيما في العصر الحجري – المعدني الذي تميز بفخاره الرائع الجميل وبدقة صناعته وتعدد الوانه وكثرة زخارفه، ولأهمية الفخار الكبيرة بالنسبة للباحثين فقد سمي الطور الاول من العصر الحجري الحديث بطور ما قبل الفخار في حين سمي العصر الحجري المعدني احياناً بعصر الفخار الملون .

ان للفخار أهمية قصوى بالنسبة للباحث المعاصر في دراسة التطور الحضاري ومعرفة التسلسل الزمني للأدوار الحضارية المتتابعة التي مرت على العراق القديم في عصور ما قبل التأريخ بنحو خاص حيث لم تكن الكتابة معروفة بعد لتعين المنقب والباحث على تحديد أزمنة الآثار المكتشفة وادوارها الحضارية ، لذا فقد استعان على ذلك بالفخار وبعض الآثار الأخرى، فالمعروف ان الأواني الفخارية تختلف في اشكالها وأنواعها والوانها وزخارفها وطريقة صنعها بل وحتى في لون طينتها ودرجة حرارة فخرها ، نسبة الى مكان وزمان صنعها ، وقد استخدم العراقيون القدماء الاواني الفخارية على نطاق واسع جداً ، لانه اصبح المادة الاساسية التي صنعت منها معظم الالات والادوات، ولاسيما المنزلية منها ، بدءا من الطور الثاني من العصر الحجري الحديث وحتى نهاية العصور القديمة بل وفي العصور التالية ايضاً ، حيث تقلص



Website: http://tu.edu.iq
E – mail: tu@mohesr.gov.iq
العراق- صلاح الدين – تكريت
ص ب (٤٢)

تدريجياً استخدام الالات والادوات المصنوعة من الحجر وكان استخدام المعدن محدوداً جداً، وهذا أمر طبيعي لرخص ثمن الاواني الفخارية وتوفر مادتها الاولية في جميع انحاء العراق، ونظراً لسرعة تكسر الاواني الفخارية وتحطمها وصعوبة او استحالة ترميمها واصلاحها، فقد زاد عدد الاواني المستخدمة كما زادت كمية الكسر الفخارية التي كانت ترمى الى جوار الدور السكنية وتتجمع سنة بعد اخرى وجيلاً بعد جيل لا تؤثر فيها عوامل التعرية الطبيعية او الحرارة او البرودة او الحرائق او الامطار .

ونتيجة لاستمرار السكن في الموقع الواحد لأجيال عدة وتهدم البيوت وترميمها وبنائها، تكونت الطبقات السكنية ( الأثرية ) من الانقاض التي يتركها كل جيل من البيوت المتهدمة، وفي الحالات الطبيعية فإن هذه الطبقات والانقاض تكون بشكل منظم من حيث التسلسل الزمني، فالطبقة العليا هي الاحدث والسفلى هي الاقدم ، وفي هذه الانقاض تتبعثر الكسر والاواني الفخارية ممثلة تعاقب العصور وتسلسل الادوار الحضارية مما يساعد المنقب على تحديد الدور الحضاري والتسلسل الزمني لكل طبقة اثرية وما يكشف فيها من آثار وبقايا من خلال دراسة وتحليل الأواني والكسر الفخارية المكتشفة فيها ومقارنتها مع غيرها من الفخار المكتشف في المواقع الأخرى ، واذا ما هجرت القرية أو المدينة لأي سبب كان واضطر السكان الى ترك بيوتهم ومعها معظم حاجياتهم، ومنها الاواني الفخارية ثقيلة الوزن وسريعة الانكسار، وتراكمت الاتربة على الموقع وغطتها على مر السنين حتى اصبحت تلاً اثرياً غالباً ما تبقى الكسر الفخارية مبعثرة على سطح التل الأثري وسفوحه الجانبية مؤشرة بذلك الادوار الحضارية التي مرت على القرية او المدينة المطمورة تحت الاتربة في ذلك التل مما يعين المنقب كثيراً عند اختياره الموقع للتنقيب والتعرف على ادواره الحضارية .

ولقد عكف الباحثون على دراسة وتصنيف الاواني والكسر الفخارية المكتشفة في المواقع المختلفة ومقارنة بعضها ببعض وذلك استناداً الى انواعها واشكالها وزخرفتها وطرزها الفنية وجميع صفاتها الاخرى المميزة ، وتبين لهم بأنه كان لكل فترة زمنية تمثل دوراً حضارياً مستقلاً فخارها الخاص المختلف عن فخار الادوار السابقة او اللاحقة، وقد ينتشر استخدام فخار دور



Website: http://tu.edu.iq
E – mail: tu@mohesr.gov.iq
العراق- صلاح الدين – تكريت
ص ب (٤٢)

معين في منطقة محدودة، في شمال العراق فقط او في جنوب العراق فقط او في منطقة صغيرة، وقد ينتشر استخدامه في منطقة واسعة تشمل جميع انحاء العراق وقد تكشف التنقيبات عن انتشاره في مناطق بعيدة خارج حدودة العراق، كما كانت عليه الحال بالنسبة الى فخار دور العبيد الذي بدأت صناعته في جنوب العراق وانتشر استخدامه في جميع انحاء العراق كما وجد ما يضاهي هذا الفخار في المملكة العربية السعودية وفي عدد من المواقع على سواحل الخليج العربي في دولة الامارات العربية ، وقد يستفاد من متابعة انتشار استخدام فخار معين على معرفة العلاقات التجارية والحضارية بين سكان المناطق وعلى معرفة طريق هجرة بعض الاقوام واصولهم العرقية في حين يشير بعض انواع الفخار الدخيلة الى حدوث غزو من اقوام اجنبية الى المنطقة .

وفضلاً عن ذلك ، فإن الزخارف والرسوم المنفذة على الاواني الفخارية وكذلك اشكال بعض الاواني والغاية من صنعها قد تعكس بعض الافكار الدينية التي كانت سائدة وتوضح بعض الطقوس والمراسيم الدينية خاصة وقد صنع من الفخار بعض الدمى والتماثيل كما صنعت منه اواني لأجراء بعض الطقوس الدينية واخرى لدفن الموتى وغيرها .

وكانت الاواني الفخارية في معظم عصور قبل التاريخ تصنع باليد اذ لم تكن عجلة الخزاف ، او القرص ، قد اخترعت بعد ، وكانت تلون بألوان نباتية وحيوانية او معدنية الاصل ، وتزخرف بشتى انواع الزخارف الهندسية والنباتية والحيوانية او قد تحمل بعض المشاهد والرسوم الادمية، وتنوعت اشكال الاواني الفخارية تنوعاً كبيراً فشملت معظم الادوات المنزلية من طاسات وقدور وجرار واقداح وصحون ومجارش ومطاحن وغيرها، وكثير من الالات والادوات المستعملة خارج المنزل، كالأدوات الزراعية وتلك المستخدمة في بعض الحرف والصناعات .

وقد ظل استخدام الفخار شائعاً حتى من بعد انتشار استخدام المعادن ولكن على نطاق أضيق، واختلفت صناعته من عصر الى آخر، الا أن أهميته في تحديد ازمنة الآثار والعصور التاريخية اصبحت محدودة بعد أن انتشر استخدام الكتابة وتم الكشف عن الاف من النصوص المدونة على الواح الطين والحجر .



Website: http://tu.edu.iq
E – mail: tu@mohesr.gov.iq
العراق- صلاح الدين – تكريت
ص ب (٤٢)

ولقد صدرت بحوث ودراسات كثيرة عن الفخار وطرزه الفنية وأنواعه واشكاله في كل دور حضاري او تاريخي بل وصدرت بعض الأدلة والجداول التي تعين المنقب على تحديد الدور الحضاري او التأريخي الذي تعود اليه الكسر الفخارية المكتشفة بمجرد مقارنتها مع ما هو مكتشف سابقاً بل وحتى في اسلوب وصفها وتحديد الوانها وزخارفها .

## الاختام

هناك نوعان من الاختام يضم الاول منها الاختام المنبسطة والثاني الاختام الاسطوانية، وقد استخدم الختم بصورة عامة ومنذ العصر الحجري المعدني وحتى الآن للتوثيق ومنع التزوير او التلاعب بممتلكات الغير ، ففي العصور المبكرة استخدم الختم المنبسط ، وهو عبارة عن قطعة صغيرة منبسطة من الحجر مستطيلة او قرصية ، منقوش عليها بوساطة الحفر بعض الخطوط او الزخارف البسيطة ، فكان يضغط الختم على الطين الطري الذي يسد فوهة الجرار لمنع التلاعب بما فيها من مواد الا بحضور مالكها ، صاحب الختم وقد تم اكتشاف اقدم انواع هذه الاختام في الطبقة الثانية من موقع حسونة قرب الموصل ، وشاع استخدامها في الادوار الحضارية لتالية الى ان تم ابتكار الاختام الاسطوانية ، حيث تقلص استخدامها تدريجياً ، وظلت الاختام المنبسطة معروفة عبر العصور وحتى الوقت الحاضر ، مع اختلافات في الشكل والمادة واسلوب الصناعة ، وظلت تستخدم للتوثيق ومنع التلاعب والتصديق لتقوم مقام التوقيع ، كأختام الدوائر الرسمية وأختام بعض الافراد ، كالمختار والتاجر والملاك وغيرهم، ولاسيما ممن لا يعرفون الكتابة او التوقيع .

وقد وجدت اقدم الاختام الاسطوانية في الطبقة الرابعة في الوركاء التي تؤرخ عادة بحدود ٣٥٠٠ ق.م ، والختم الاسطواني هو عبارة عن حجرة او خرزة اسطوانية الشكل صغيرة يتراوح طولها بين ٢سم و٨سم عادة ، ويتراوح طول اقطارها بين ١ سم الى بضعة سنتمترات ، وتصنع من الاحجار المختلفة ، وبعضها احجار كريمة او شبه ثمينة ، وقد تصنع من المعادن او



Website: http://tu.edu.iq
E – mail: tu@mohesr.gov.iq
العراق- صلاح الدين – تكريت
ص ب (٤٢)

الفخار والختم الاسطواني مثقوب طولياً من الوسط ، ربما ليعلق بخيط في الرقبة للمحافظة عليه من الضياع ولضمان عدم استخدامه من قبل الغير ، وكان من المقتنيات الشخصية الملازمة لمعظم الافراد ، ولا سيما الذكور منهم ، وقد ابتكر العراقيون القدماء الختم الاسطواني لانه اكثر ملائمة للتوثيق على الطين حيث يمكن النقش عليه بزخارف ونقوش ومشاهد مختلفة وربما بعض الكتابات ، وعند دحرجته على الطين يترك طبعة تلك الزخارف والمشاهد ويمكن تكرار تلك الطبقات بمجرد الاستمرار بدحرجة الختم ، وقد استخدم الختم الاسطوانيعلى نطاق واسع بعد اختراع الكتابة وذلك لتوثيق العقود والمعاملات التي كانت تدون على الواح الطين .

وكان النقش على الختم يتم بطريقة الحفر وتنقش الزخرفة او المشهد او الكتابة بشكل معكوس ، فاذا ما دحرج الختم على الطين ترك طبقة صحيحة وموجبة .

ويعد الختم الاسطواني من سمات الحضارة العراقية القديمة ، فعلى الرغم من استعمال الاختام الاسطوانية في بعض بلدان الشرق الادنى القديم ، مثل وادي النيل وبلاد الشام وآسيا الصغرى ، فانها استخدمت لفترة محدودة وربما كانت اقتباساً وتقليداً لما كان شائعاً في المتتابعة خاصة وان الكتابة كانت تطبع على الواح الطين وكان ملائما جداً توثيق المعاملات والنصوص بطبعة الختم الاسطواني ايضاً .

ولا تقتصر فائدة الاختام الاسطوانية على تحديد ازمنة الادوار الحضارية التي تعود اليها، بل ان الزخارف والنقوش والمشاهد المنفذة عليها ، قد تعكس لنا معلومات مفيدة جداً في دراسة الطقوس الدينية والعادات والتقاليد المتبعة وما كان من حيوانات ونباتات في المنطقة ، فضلاً عن ان بعضها كان يحمل مشاهد عن حياة الحكام او الحياة اليومية للأفراد الى غير ذلك من المشاهد التي تعبر عن جوانب معينة من حضارة العصر الذي صنعت فيه ، بل ان بعض المشاهد يوضح هوية الاقوام التي استخدمت تلك الاختام ، سومرية كانت ام جزرية ( اكدية او بابلية ) او اجنبية من ملامح الاشكال المرسومة عليها والتي تمثل بعض الاشخاص او الالهة .



العراق- صلاح الدين – تكريت
ص ب (٤٢)
Website: http://tu.edu.iq
E – mail: tu@mohesr.gov.iq